الأهرام

خانه مطبوعات
مرکز مطالعات و تحقیقات اسلامی

٢٦ - ٢٧

الرافدين

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمّد سعيد الطريحي

ترسل جميع المراسلات والطلبات باسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

هولندا

الرقم المعياري للمجلة في المكتبة الملكيّة في لاهاي (هولندا)

ISSN 13842773

POST BUS 1113

3260 AC OUD - BEYERLAN

FAX : 0031 1866 16306

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

Shiabooks.net

منهج التأصيل النظري في فكر الشهيد الصدر (قدس سره)[1]

▣ الشيخ عبد الجبار الرفاعي

تمور في الساحة الاسلامية مجموعة فعاليات ثقافية واعلامية، تتوزع على أقاليم ومدن عديدة في العالم الاسلامي وغيره، تمارسها حركات ونوادٍ وجمعيات ومؤسسات ومساجد وصحف ودوريات كثيرة، ويشارك في أنشطتها العديد من الدعاة والخطباء والكتاب والإعلاميين، تتباين عطاءاتهم بين الخطاب السجالي التعبوي، وبين بيان المفاهيم والمقولات الأولية في الفكر الاسلامي.

لكن خطاب الجميع يتسم بالتعميم تارة، فيما يتسم بالالتباس والإبهام والتداخل تارة أخرىٰ، ولايجري فرز وتصنيف، أو تحليل وتقويم للاشكاليات والتحديات الراهنة التي تواجهها الدولة الاسلامية والمجتمعات الاسلامية الحاضرة، ومن ثَمَّ تقرير واستكشاف مواقف العقيدة والشريعة منها.

فمثلاً نجد هذا المقال يتناول الاختراق الثقافي، وذاك الخطيب يشدد على مخاطر المواجهة الحضارية بين الاسلام والغرب، واشكالية العلاقة بالآخر، من دون ان نتحسس في مايطرحه أي واحد منهما محاولة فكرية جادة ودقيقة لتجاوز الشعارات والصيحات التحريضية، باتجاه قراءة الواقع، واستنطاقه بقراءة منهجية تُلم بأدوات ووسائل التحليل والبحث العلمي، لتغور في الأعماق وتكتشف سنن التغيير والمداولة والصراع، وتحدد لنا ماينبغي استدعاؤه من التراث، وماينبغي التأكيد عليه واستيعابه وهضمه وتمثله من الموروث المعرفي الاسلامي، زاداً لاغنىٰ عنه في هذه الفترة من تاريخنا، لأن هذا الموروث هو الذي تقومت به هوية الأمة، وتشكلت طبقاً له شخصيتها الحضارية

---

(١) من البحوث الواردة متأخرةً على انعقاد الندوة.

وارتسم في ضوئه مسارها التاريخي، وتسجلت من خلال الوعي بمعالمه وتفاصيله ذاكرتها أزاء ماضيها وتاريخها.

فالوعي بالحاضر يتأسس على الإلمام بالماضي أولاً، لأن الماضي هو الذي يكوّن الحاضر، وبالتالي يوجه حركة المجتمع نحو المستقبل، ولا يصح أبداً لمن اراد أن يتعرف على حاضره بصورة واضحة أن يستجاوز الماضي، فالحاضر ليس إلاّ ماراكمه الانسان من إبداعات وتجليات وتنويعات لمعارف وتراث ماض، تتفاعل ايجابياً مع ماتفرزه وتطرحه الأيام من أسئلة واستفهامات متجددة.

وعلى هذا فلن يتحقق الوعي الايجابي الفاعل بالحاضر الاّ عبر استدعاء مايختزنه الماضي من قيم ومقولات ومنظومات المعارف والأفكار.

بيد ان التعامل مع الماضي واستيحاء عناصره الحية لايستطيع عليه كل أحد، فكما يختزن التراث مقومات قوة الأمة المسلمة وكمالها، تتكدس فيه عناصر قاتلة فضلاً عن العناصر الميتة، استنزفت طاقات العقل المسلم قروناً عديدة.

فبينما كان الانسان الاوروبي يؤسس لنهضته الحديثة قبل حوالي خمسة قرون، ويجدد بناء منظومته المعرفية ويوجه عقله نحو اكتشاف الطبيعة وسبر أغوارها، كان العقل المسلم يُستنزف في مشاغل ثانوية، وربما تافهة، حتى بلغ التشتت والتضييع في تلك الفترة حداً مُزرياً، فقد تجاوزت شروح بعض المتون الأدبية وغيرها العشرات، واستغرق بعض الباحثين في مسائل غريبة، فمثلاً ألّف أحدهم «رسالة في نوم الملائكة»، وألّف آخر «رسالة في زواج الجن»، وألف ثالث ورابع .. الخ، مؤلفات في قضايا ومشكلات موهومة، بينما غُيبت المشكلات المصيرية وانقطع هذا العقل عن المستقبل، في الوقت الذي كان فيه الانسان الغربي على الشاطئ من المتوسط منهمكاً في التخلص من الأفكار الميتة والقاتلة، فقد كان الجدل يحتدم حول مسائل تافهة مثل: «ماهو عدد الملائكة التي يمكن أن تحلّ في رأس أبرة ؟» لدى «الفلسفة المدرسية» في أوروبا في العصور الوسطى، ولولا تجاوز العقل الاوروبي لهذه الافكار لما استطاع أبداً ان يتجه للابداع والابتكار ويحقق المكاسب الكبرى في تطوره التقني.

من هنا لابد من الفرز والتمييز على بصيرة بين: مالابد من استمرار حضوره وبقائه من الماضي، ومالابد من تجاوزه والتعامل معه باعتباره نتاج عصر معين هو زبد ذلك العصر، وكما هو معلوم ان الزبد يجب ان يذهب، واما ماينفع الناس فيجب

ان يبقىٰ إلىٰ الأبد، كما قررت ذلك سُنة اللّه الخالدة.

ان افرازات وشطحات عصر التداعي العقلي والانحطاط الفكري الذي عاشته بعض أجيال المسلمين، فترك بصماته علىٰ انتاجهم الفكري آنذاك، يعتبر تجاوزها المقوّم الآخر لبناء نهضتنا الحاضرة، فكما تستقوم هويتنا بالتواصل مع معطيات وابداعات العقل المسلم بالامس من جهة، كذلك يكون لزاماً علينا تجاوز ماكبّل هذا العقل في بعض الفترات.

ولعل من أبرز الاشكاليات التي ترتهن الخطاب الاسلامي المعاصر، هي حالة التكرار والاجترار التي لم يتغلب عليها، فأضحىٰ أفضل مايُقال أو يُكتب، ماهو إلا شرح وتلخيص وترديد لمقولات وأفكار أطلقها مفكرون في عصور سالفة.

لكن المتأخرين لم يراكموا هذه المقولات، ولم يعملوا علىٰ تحرير وتأصيل مقولات ونظريات تستجيب للتحديات والاستفهامات المتجددة، وانما استغرقوا في الشروح والحواشي علىٰ المتون والنصوص الموروثة من السلف، فتراجع دور العقل بعد ان نشطت فعالية الذاكرة، وكأن ذاكرتهم ارتدت القهقرىٰ نحو عصور الركود والانحطاط، يوم تعطلت فعالية العقل وتعطلت روح الابداع، وتمحورت كل الجهود علىٰ الحواشي والتعليقات فتهمش الدور الأساسي للعقل في التنظير والتأسيس والاكتشاف، في اطار التواصل مع السلف.

ويبدو ان السبب الرئيس لهذه الحالة، هو انخفاض القدرة على التمثل، فمالم يتم تمثل واستيعاب معارف السلف واسهاماتهم، لايمكن الاستمرار في العطاء، إذ ليس هناك من يبدأ من الصفر في التاريخ، فكل عطاءات الانسان هي مايأتلف من تراكمات التجربة البشرية منذ بداية ظهور المجتمع علىٰ الأرض.

وتفاوت إسهامات الأجيال في إغناء التجربة والمشاركة الخلاقة في تطوير حركة التاريخ، ينجم عن اختلافهم في وعي وتمثل ماراكمته الأجيال السابقة من خبرات ومعارف.

ومايحدث من انكسارات وتراجعات في مسار تجارب البناء لدى المجتمعات، ينشأ في الأعم الأغلب من انهيار الذاكرة التاريخية، وفقدان الوعي، ونسيان كل معطيات وتجارب الانسان منذ فجر التاريخ، فيفضي المجتمع الىٰ مستقبل، دون ماضٍ أو حاضر لاماضي له لأنه لم يعد قادراً علىٰ اختزان الأفكار وتركيبها، ويظل يكرر ذاته ولايتقدم خطوة واحدة الىٰ الأمام، ويفقد القدرة علىٰ تأسيس أي

موقف أصيل، بفعل ماتعرض له من إعاقة وتفريغ حضاري.

بيد ان مايزحزح حالة الركود ويعمل على تحرير وعي الأمة وقدراتها المختزنة هو صيحات المجددين ممن يطلقون خطاباً يحطم السكون المهيمن على حياة الأمة، فينطلق تيار من المقولات والأفكار تستلهم التراث وتستجيب لتحديات الحاضر.

وقد استطاع بعض المفكرين المسلمين في هذا العصر ان ينجز أعمالاً، ويبتكر نظريات، ويؤصل مقولات منهجية، تتجاوز الفضاء المحدود الذي يتحرك فيه الخطاب الاسلامي المعاصر، ويمكن اعتبار فكر المفكر الاسلامي مالك بن نبي، وفكر الامام الشهيد محمد باقر الصدر من أبرز نماذج الفكر التجديدي في هذا العصر.

فمثلاً استطاع الشهيد الصدر ان يتجاوز الاهتمامات التقليدية والمشاغل المعروفة بين الاسلاميين إلى الاهتمام بالاشكاليات الراهنة التي تواجه الاسلام والمجتمعات الاسلامية، فشمر ساعده لمنازلتها، من خلال مشروع معرفي متكامل، بدأ بقراءة المذاهب والمناهج الغربية الوافدة، وتحليلها وتفكيكها ونقضها، وبالتالي رد الغرب إلى حدوده الطبيعية التي ولد فيها، وبيان ان منظومة معارفه هي نتاج بيئته وتاريخه الخاص، بما يكتنف هذا التاريخ من منعطفات، ومايتحكم به من مسار خاص، انحرف عن هدي السماء وارتكس في أوحال المادية، ودراسة فكره على انه جزء منه، وانه محكوم بتاريخه هذا وليس خارج التاريخ، ومن ثَمَّ إعادةُ الاعتبار للأنا والقضاء على عقدة النقص وروح الانبهار التي وقع في أسرها بعض رواد الإصلاح في القرن التاسع عشر في العالم الاسلامي، حين التقَوا المدنية الغربية أول وهلة فأضحَوْا غير قادرين على اكتشاف الأنا إلاّ من خلال مرآة الآخر.

وانتهى الشهيد الصدر إلى إعادة تشييد الأسس والمقومات الأساسية لفلسفة اسلامية معاصرة، تجد فيها الأنا صورتها الحقيقية، بعد أن تعرضت هذه الصورة للمسخ والتشويه، بفعل ماكان يحدده الباحثون الغربيون من أبعاد مزيفة لهذه الصورة، قد يكون انتهاب ثقافات الشعوب، والاجهاز على موروثها الحضاري، أحد أخطر تلك الأبعاد، أو بفعل ماالتقطه المفكرون والكتّاب في ديارنا من وعي زائف عن أولئك الباحثين، وراحوا يعملون على إشاعة هذا الوعي والتثقيف عليه، كما نجد ذلك بنحو واسع في الفكر العربي الحديث منذ القرن التاسع

عشر.

لقد أسهم العطاء الفكري للشهيد الصدر في التبشير بنمط جديد من الوعي بالاسلام ومناهج التفكير الاسلامي، واكتشاف تهافت المرتكزات المادية للفكر الغربي الحديث، وتفنيد التصور الذي قدمه هذا الفكر عن الكون والانسان والتاريخ، وتحديد الحدود الدقيقة لمساحته التي يمكن ان يقول فيها كلمته، ونقض دعوى العلمية في بعض الفلسفات الأوربية الحديثة، وانهاء هذه الاسطورة في المادية الديالكتيكة، باعتبارها الفلسفة الوحيدة ذات الرؤية العلمية.

وبذلك أضحى الشهيد الصدر مؤسساً أو مواصلاً التأسيس لخطاب اسلامي جديد، لايقتصر على النقد المنهجي للفكر الغربي واسقاطاته في الفكر العربي الحديث، وانما يتجاوز ذلك الى العمل على إعادة الثقة بالعناصر والمقومات الذاتية للأمة المسلمة، وبعث عناصر الحياة واستدعاء روح الابداع الكامنة في تراثها وماضيها، لأن أية محاولة للبناء والتنمية لاتقوم على الامكانات الذاتية للأمة، لايمكن ان تتقدم خطوة واحدة إلى الأمام، طبقاً لما قرره الشهيد الصدر في ان (حركة الأمة كلها شرط أساسي لانجاح أي تنمية، وأي معركة شاملة ضد التخلف، لأن حركتها تعبير عن نموها ونمو ارادتها، وانطلاق مواهبها الداخلية، وحيث لاتنمو الأمة لايمكن ان تمارس عملية تنمية، وتجربة الانسان الاوروبي الحديث، هي بالذات تعبير تاريخي واضح عن هذه الحقيقة، فان مناهج الاقتصاد الأوروبي كاطارات لعملية التنمية لم تسجل نجاحها الباهر على المستوى المادي في تاريخ اوروبا الحديثة إلا بسبب تفاعل الشعوب الأوروبية مع تلك المناهج وحركتها في كل حقول الحياة، وفقاً لاتجاه تلك المناهج ومتطلباتها واستعدادها النفسي المتناهي خلال تاريخ طويل لهذا الاندماج والتفاعل، فحين نريد ان نختار منهجاً أو إطاراً عاماً للتنمية الاقتصادية داخل العالم الاسلامي، يجب أن نأخذ هذه الحقيقة أساساً ونفتش في ضوئها عن مركب حضاري قادر على تحريك الأمة، وتعبئة كل قواها وطاقاتها للمعركة ضد التخلف، ولابد حينئذ أن نُدخل في هذا الحساب مشاعر الأمة، ونفسيتها، وتاريخها، وتعقيداتها المختلفة)[1].

ولو حاولنا ان نراجع فكر الشهيد الصدر لوجدنا انه يؤكد في كل ما كتب على ماأسماه بالمركب الحضاري في الأمة؛ المركب الذي يتأتى من هوية الأمة، وعقيدتها، وتراثها، وتاريخها، ويمثل

الشرط الأهم في نهوض الأمة وخروجها من نفق التخلف.

التنظير في فكر الشهيد الصدر (قدس سره)

اتسمت أعمال الشهيد الصدر بأنها تعبير عن محاولات منهجية جادة لتأصيل نظرية اسلامية في كل حقل من حقول المعرفة الاسلامية التي اهتم بالكتابة فيها.

ولو حاولنا ان نتعرف بدقة على ماتسعى مجموعة مؤلفاته لتأسيسه، لَلاحظنا بوضوح انها تنتظم في مشروع واحد، هو محاولة تحديد إطار نظري في بحث ودراسة الفكر الاسلامي، وتحديد منهج آخر في البحث يتواءم مع متطلبات الحياة المعاصرة.

وبكلمة اخرى ان الهم الأساسي الذي يضطلع به مشروع الشهيد الصدر هو الحرص على اكتشاف نظريات الاسلام في التاريخ، والاقتصاد، والسياسة، والمجتمع ... الخ، فهو مكتشف كبير دأب على الأخذ بمنهج التفكير الاسلامي نحو آفاق جديدة لم يعهدها هذا التفكير من قبل، إلاّ بصورة محدودة في أعمال بعض المفكرين المسلمين ممن سبقوه، فيما كان هذا التفكير يتحرك في دائرة المنهج المتوارث في معاينة مشكلات الحياة، والتعرف على مواقف الشريعة منها، ولذلك ظل يكرر الاجابات ذاتها على هذه المشكلات، من دون ان يتمكن من اكتشاف فضاءآت أخرى يغور من خلالها في وقائع الحياة، ويستنطق القرآن الكريم والسنة الشريفة، لكي يقول الاسلام كلمته المطلوبة أزاء تلك الوقائع.

لقد توفرت مؤلفات الشهيد الصدر على اتجاه جديد تخطى من خلاله الفكر الاسلامي الحديث الحالة التقليدية التي ارتهن فيها، وأضحت للاسلام كلمته في مواجهة الأيديولوجيات الأخرى، حيث برز الاسلام أيديولوجية معاصرة تنفي كل التهم الظالمة وتمتد لتستوعب كل مشكلات الانسان، وتقدم الحلول الناجعة لها، وتتسع لتغطي تمام حاجات ومتطلبات المجتمعات الحديثة من مقولات ونظريات، ونظم، وقوانين.

وفي مراجعة سريعة للتراث الفكري للشهيد الصدر نجد أن محاولة التأصيل النظري تنبسط على تمام أعماله، بالرغم من تواصلها في الصدور مايزيد على العشرين سنة، فمثلاً نراه في اقتصادنا ينجز الخطوة الأولى الأهم على طريق مشروع اكتشاف وصياغة المذهب الاقتصادي في الاسلام، وهي محاولة لم يُسْبَقْ بها من قبل فيما نعلم.

وبغية ان نتعرف على ملامح هذه

المحاولة، ينبغي ان نقرأ ماتوخاه لها الشهيد الصدر، وما توخاه منها من دور مأمول في حركة تطور الفكر الاسلامي، ومايمكن ان تبشر به وتشيعه من منحىٰ جديد في منهج الدراسات الفقهية وتأصيل النظم الاسلامية، وماتمتاز به هذه العملية عن ماينا ظرها من دراسات في المذاهب الأخرىٰ:

يحدد بشكل واضح وجهة البحث في عملية الاكتشاف التي ينجزها المفكر الاسلامي في اشادة أركان المذهب الاقتصادي في الاسلام ورسم معالمه، والمفكر الاقتصادي الغربي يمارس عملية ابتكار وتكوين المذاهب الاقتصادية الأخرىٰ، (فالمفكر الاسلامي أمام اقتصاد منجز تم وضعه، وهو مدعو إلىٰ تمييزه بوجهه الحقيقي، وتحديده بهيكله العام، والكشف عن قواعده الفكرية، وإبرازه بملامحه الأصلية، ونفض غبار التاريخ عنها، والتغلب بقدر الامكان على كثافة الزمن المتراكم والمسافات التاريخية الطويلة، وايحاءات التجارب غير الأمينة التي مارست ـ ولو اسمياً ـ عملية تطبيق الاسلام، والتحرر من أطر الثقافات غير الاسلامية التي تتحكم في فهم الأشياء، علىٰ وفق طبيعتها واتجاهها في التفكير. ان محاولة التغلب علىٰ كل هذه الصعاب، واجتيازها للوصول إلىٰ اقتصاد اسلامي مذهبي، هي وظيفة المفكر الاسلامي.

وعلىٰ هذا الأساس يمكن القول: بأن العملية التي نمارسها ـ والقول للشهيد الصدر ـ هي عملية اكتشاف. وعلىٰ العكس من ذلك المفكرون المذهبيون الذين بشروا بمذاهبهم الرأسمالية والاشتراكية، فإنهم يمارسون عملية تكوين المذهب وإبداعه)[٢].

في ضوء هذا المنهج تغلب الشهيد الصدر علىٰ المشكلات المنهجية التي كان يُمنىٰ بها الباحثون في الفكر الاقتصادي الاسلامي، حيث تتجه أبحاثهم نحو الاتجاه التجزيئي، فتتعامل مع التشريعات الاقتصادية في الاسلام باسلوب مجتزأ مفكك، فتارة تكشف النظر على بعض الأدلة الشرعية التي تقرر أحد أشكال الملكية كالملكية الفردية مع قطعها عن سائر الأدلة التي تقرر الأشكال الأخرىٰ للملكية، فتتقوّلها لتزعم ان المذهب الاقتصادي في الاسلام يتطابق مع المذهب الرأسمالي وتارة أخرىٰ تنحو هذه الأبحاث منحىً آخر، زاعمة ان الاقتصاد الاسلامي اقتصاد اشتراكي.

بل ان الدراسات الموضوعية الأصلية التي اعتمدت المنهج التجزيئي، وحاولت ان تثبت وجود نظام اقتصادي اسلامي، لم

تتمكن ان تتقدم خطوة واحدة إلى الأمام، وتؤصّل الهيكل العام والأركان الأساسية لهذا النظام.

بينما تغلب الشهيد الصدر على هذه المشكلة المنهجية في ضوء الاتجاه المنهجي العام الذي ترسم خطاه في تمام اعماله، والذي يهدف لتجاوز اسلوب الدراسات التجزيئية في الفكر الاسلامي، وتبني اسلوب النظرة الكلية الموضوعية، وماتنتهي اليه هذه النظرة من تأصيل الموقف النظري العام للاسلام من شؤون الحياة الاجتماعية المختلفة.

وأحسب ان تبني هذا الأسلوب الذي ينظر الى الاسلام كلاً مترابطاً متسقاً متوازناً، في الدراسات الفقهية، والقرآنية ـ بل حتى التاريخية ـ سيحقق للفكر الاسلامي فتوحاتٍ هامةً، وينقله نقلة كبيرة إلى آفاق جديدة لايمكن ان يصلها لو ظل يتحرك في إطار النظرة التقليدية التجزيئية.

لقد أرسى الشهيد الصدر أسس المنهج الموضوعي في دراسة الاسلام، فكانت أعماله مرآة ناصعة تتجسد فيها خطوات هذا المنهج وتنتهي إلى قطف ثمراته.

ويبدو انه كان يستشرف مستقبل الاسلام في هذا العصر، فيبصر مايلوح في الأفق البعيد من تحديات معرفية معقدة، واشكاليات فكرية متنوعة تستثيرها مستجدات الحياة مع توالي الايام، وتراكم المشكلات في حياة المجتمعات المعاصرة.

وكان يعرف بدقة عدم قدرة الأسلوب التجزيئي في الدراسات الاسلامية في الوفاء بالمتطلبات الراهنة في الحياة الاسلامية.

ولذلك حرص على اشاعة تقاليد هذا الأسلوب المبتكر في الدراسات الاسلامية، فاهتم بتعميم تطبيقاته مع تمادي الأيام في خارج دائرة الفقه الاقتصادي، فمثلاً حث على تبنيه في دراسة وقائع التاريخ الاسلامي والسيرة الشريفة لأهل البيت عليهم السلام، وألمح الى النتائج والآثار العظيمة التي سيفصح عنها اعتماد هذا الأسلوب، باعتباره يقوم على اكتشاف الترابط والانسجام بين أعمالهم، ونفي ماقد يبدو من تباين واختلاف بين أدوارهم وطبيعة الاهتمامات التي تجلت في سلوكهم.

وأفصح عن هذا الاتجاه بأنه: (الاتجاه الذي يتناول حياة كل امام ويدرس تاريخه على أساس النظرة الكلية بدلاً من النظرة التجزيئية، أي ينظر إلى الأئمة كُلاً مترابطاً، ويدرس هذا الكل ويكتشف ملامحه العامة، وأهدافه المشتركة، ومزاجه الأصيل، ويفهم الترابط بين خطواته،

وبالتالي الدور الذي مارسه الأئمة جميعاً في الحياة الاسلامية... حين نحاول اكتشاف الخصائص العامة والدور المشترك للائمة ككل، فسوف تزول كل تلك الاختلافات والتناقضات لأنها تبدو على هذا المستوى مجرد تعابير مختلفة عن حقيقة واحدة، وإنما اختلف التعبير عنها وفقاً لاختلاف الظروف والملابسات التي مربها كل امام وعاشتها القضية الاسلامية والشيعية في عصره عن الظروف والملابسات التي مرت بالرسالة في عهد إمام آخر، ويمكننا عن طريق دراسة الأئمة على أساس النظرة الكلية أن نخرج بنتائج أضخم من مجموع النتائج التي تتمخض عنها الدراسات التجزيئية، لأننا سوف نكتشف الترابط بين أعمالهم)[٣].

وفي بحوثه التالية التي ألقاها على مجموعة من تلامذته في فترة تلت تاريخ كتابته لهذه الكلمات، اعتمد هذا الاتجاه في دراسة وتحليل حياة أهل البيت (عليهم السلام)، وبيان الدور المشترك لهم في التاريخ الاسلامي[٤]، وهكذا نراه يسعى إلى تعميم المنحى الذي يعتمد على انتزاع نظرة عامة وبناء نظرية واضحة في تفسير وقائع حقبة أساسية في التاريخ الاسلامي، فيتوسع في استخدام أدوات المنهج الموضوعي في ميدان آخر من الدراسات الاسلامية.

ويظل هذا المنهج في البحث هو السمة البارزة التي تطبع أعمال الشهيد الصدر اللاحقة، فلا يغيب عنه وهو يستعد لتدوين رسالة فقهية لعمل مقلديه، فينعكس تأثير هذا المنهج بنحو جلي في تقسيمه المبتكر لأحكام الشريعة الاسلامية، في ضوء ترابطها ومدلولاتها السلوكية العملية في حياة الانسان[٥].

وربما كان الاتجاه الموضوعي في تفسير القرآن هو أبرز نموذج تجلّت فيه بشكل واضح ودقيق حدود وتفاصيل هذا المنهج، والذي أفصح عنه الشهيد الصدر في دروس التفسير التي ألقاها على مجموعة كبيرة من طلاب العلوم الاسلامية في النجف الأشرف عام ١٣٩٩ هـ.

وقد لانعدو الحقيقة إذا قلنا: انها أول محاولة لتأسيس اتجاه جديد في تفسير القرآن الكريم، واشادة أسس ومعالم منهج لاستنباط مواقف القرآن الكريم من مختلف المشكلات الاجتماعية التي يعيشها الانسان.

وان كانت الدراسات القرآنية لم تعدم من قبل بعض التطبيقات الممتازة لهذا المنهج، كما نلاحظ ذلك في بعض دراسات العلامة المرحوم محمد عبد اللّه دراز، لكن الرائد الأول في إرساء الأساس

النظري ، وبناء المعالم الدقيقة ، وترسيم الحدود الواضحة ، وصياغة نظرية متكاملة الأبعاد ، هو السيد الشهيد الصدر .

بدأ الشهيد الصدر تأصيل الاتجاه الموضوعي في التفسير ، وتوسع في بيان المسوّغات الموضوعية والفكرية لايثاره على التفسير التجزيئي ، وانتهى بعد اشادة الأركان النظرية لهذا الاتجاه ، إلى انتخاب موضوع (سنن التاريخ في القرآن الكريم) ، نموذجاً تطبيقياً تتجسد فيه المعالم العملية لنظريته التي صاغها ، وكان يأمل ان يطرق عدداً آخر من المواضيع المهمة ، لولا أن استأصلت يد البغي هذا المفكر العظيم ، وهو لم يفرغ كما يلوح لنا في مستقبل تطور الفكر الاسلامي الحديث .

لعل التوفيق والنجاح الكبير الذي تحقق على يد الشهيد الصدر في الدراسات القرآنية ، كان ثمرة ناضجة لمنهج التأصيل النظري ، ذلك المنهج الذي ولد في ذهنه منذ أوائل العقد الثالث من عمره ، وقطف الشهيد الصدر ثمرته باكراً في «اقتصادنا» ، أي قبل حوالي عشرين عاماً من تاريخ صياغته للمعالم والأسس التفصيلية النظرية لهذا المنهج ، ومحاولة تطبيقة في ميدان الدراسات القرآنية .

ولم ينس أن يشدد على مايمكن ان ينجزه تعميم تطبيق المنهج النظري البحوثَ الفقهيةَ في بداية كلامه عن مسوّغات استخدامه في تفسير القرآن الكريم ، فقد أكد على ضرورة ان يتوغل (الاتجاه الموضوعي في الفقه ، لابد وان يتوغل ، لابد وان ينفذ عمودياً ، لابد وان يصل الى النظريات الأساسية ، لابد وان لايُكتفى بالبناءات العلوية ، بالتشريعات التفصيلية ، لابد وان ينفذ من خلال البناءات العلوية الى النظريات الأساسية ، التي تمثل وجهة نظر الاسلام ، لأننا نعلم ان كل مجموعة من التشريعات في كل باب من أبواب الحياة ترتبط بنظريات اساسية ، ترتبط بتطورات رئيسة ، أحكام الاسلام ، تشريعات الاسلام في مجال الحياة الاقتصادية ترتبط بنظرية الاسلام ، بالمذهب الاقتصادي في الاسلام ...)[٦] .

وكأن السيد الشهيد ينعطف نحو الماضي ، فيعود إلى ماقبل عشرين عاماً تقريباً ، مذكّراً بأن عملية التأصيل النظري التي يقوم بها هنا في حقل الدراسات القرآنية ، لم تولد في فراغ ، ولم تكن مقطوعة الجذور ، وانما هي محاولة أخرى في تطبيق هذا المنهج وإتمام بنيانه ، وهي تكمل ماتم من خطوات سابقه على هذا الطريق .

وان كانت الأسس النظرية تتبلور تلقائياً حين تحتضن محاولات التطبيق ،

وبذلك تدفقت في صورتها التامة والناضجة على يد الشهيد الصدر، في المرة الأخيرة التي كان يطبق فيها منهجه هذا في الدراسات القرآنية، حيث مهّد لعمله هذا ببيان الإطار العام للاتجاه التوحيدي الموضوعي ـ كما أسماه هو ـ وأركانه ومقوماته الرئيسة، والدوافع والأسباب التي تقضي باستخدامه في الدراسات الاسلامية المعاصرة عموماً، والدراسات القرآنية بشكل خاص.

وهي المرة الأولى التي تبرز فيها التفاصيل والأسس النظرية للمنهج الذي تواصل استخدامه في أعماله منذ البدايات، ولم يتخلف في واحدة من أعماله التالية.

وان كان ظهور الأفكار النظرية الأولى في تأصيل هذا المنهج يعود إلى التمهيد الواسع للجزء الثاني من «اقتصادنا»، والذي انبسط على أكثر من خمسين صفحة من الكتاب، تحت عنوان «عملية اكتشاف المذهب الاقتصادي ص ٣٧٥ـ ٤٢٩»، واوضح فيه كيفية استخلاص وصياغة مذهب الاسلام الاقتصادي في ضوء معطيات القرآن الكريم، والسنة الشريفة، والتراث الفقهي، وأماط اللثام عن مجموعة المشكلات التي تُمنى بها مثل هذه العملية الاجتهادية، والسبل الكفيلة لتفادي الوقوع في تلك المشكلات، بعد تحديد الاطار المرجعي النظري الذي يتقوم على أساسه النسق العام لبناء المذهب، ويتم تركيب كافة ركائزة ومقوماته.

في هذا الضوء استطاع الشهيد الصدر ان يؤصل لمنحىً جديد في عملية الاستنباط الفقهي، لاتستعين بالأدوات المتعارفة في عملية الاستنباط، مما كانت تؤمنه العناصر والقواعد المشتركة في علم أصول الفقه، لاتستعين بها فحسب، وانما تعمد إلى الافصاح عن ولادة قواعد جديدة ينبغي ان تستلهمها بحوث أصول الفقه، بعد ان تحرك البحث الفقهي من خندقه التقليدي ووطأ أرضاً بكراً، لم يعرفها الأسلوب المتداول في الاستنباط.

ولانزعم ان الشهيد الصدر فرغ من تأصيل تمام القواعد اللازمة في أصول الفقه لعملية استنباط وصياغة النظرية، ولكنه أشعل أول شمعة في الطريق لمن جاء بعده، ومن المعلوم ان القواعد الأصولية انما تتحرر بصورة طبيعية في فضاء الممارسة العملية للبحث الفقهي، باعتبارها تؤمن الاجابات والحلول للمشكلات التي تثيرها تلك العملية، ولذلك لايمكن ان يتكامل بناء القواعد الأصولية ويولد علم أصول فقه جديد يتولى تأمين المستلزمات والأدوات الأساسية لاستنباط النظرية الفقهية في أي

حقل من حقول الحياة، من دون ممارسة الفقيه لعملية استنباط النظرية، وما يمكن ان تفرزه هذه العملية من استفهامات واشكاليات، تتولى إثارة وعي العقل الأصولي، وزحزحته من الدائرة التي ألفها، وإقحامه في مسارب جديدة، ماكان له ان يبلغها لو ظل مرتهناً للاشكاليات القديمة التي تكررها عملية الاستنباط التقليدية.

هكذا ينمو ويتطور الفكر الأصولي، من خلال تفاعله مع البحث الفقهي، ووقوفه على رهاناته وماتتمظهر به.

وكلما تكامل الفكر الأصولي واكبه تطور وتكامل التجربة الفقهية، باعتبار ان علم الأصول يؤمن للفقيه الأدوات اللازمة له في عملية الاستنباط، فتنمو هذه العملية أفقياً ورأسياً تبعاً للنمو في أدواتها.

وبعبارة أخرى هناك تفاعل وتأثير متبادل بين نمو وتطور الفقه والأصول، فبينما يقتحم الفقه آفاقاً جديدة، تستجيب له أصول الفقه فيقعّد مجموعة قواعد وأسس تمكّنه من التغلب على المشكلات والاستفهامات التي تثيرها عملية الاستدلال الفقهي، وهكذا تتحرك التجربة الفقهية في فضاءات اخرى عندما ينتهي العقل الأصولي إلى ابتكار وتقنين قواعد جديدة[٧].

من الواقع إلى فقه النص

اتسم المنهج الذي اعتمده الشهيد الصدر في التنظير لمواقف الاسلام من مشكلات الحياة المتنوعة بتحليل مدلولات النص في ضوء معطيات الواقع، ونتائج التجربة البشرية على الأرض، وما تفرزه وتقرره هذه التجربة من تقدم أو تراجع، فهو حين يكتب يعاين حياة الانسان، ويتدبر الواقع، ويسعى لوعي واستيعاب مكتسبات تلك التجربة وآثارها المختلفة، كما يتفاعل مع التجربة الخاصة للحركة الاسلامية، ويسبر غور هذه التجربة ليلتقط مايرهصها من تحديات، باعتبارها تسعى لتطبيق الاسلام في هذا العصر من خلال إقامة الدولة الاسلامية، فيعكف على استنطاق النص (القرآن الكريم، والسنة الشريفة) ومحاورته في ضوء الاشكاليات التي يعكسها الواقع.

لقد استطاع الشهيد الصدر ان يتغلب على عقبة كؤود ارتهن في اطارها التفكير الاسلامي فترة طويلة، فوجهه نحو واقع الحياة الاجتماعية ومتطلباتها، ونزل به من الفضاء الذهني الذي كان محتبساً فيه إلى تضاريس الحياة الاجتماعية، وميدان التجربة الحياتية للانسان بكل ماتختزنه من وقائع، وتصدعات، وأخاديد، وما يتجلى عنها من أفكار، وإضاءات، وماتفصح عنه

وتقوله من مقولات ومـاتخفيه ولاتـفصح عنه من رؤىً واستفهامات.

هكذا تحرر الوعي في خطاب الشهيد الصدر، وتخلص من الاسـتغراق الخـيالي فـي مـفاهيم تـجريدية ظـل الخطاب الاسلامي في أسرها فتراتٍ طويلة، يجري ويعوم في حالة ذهنية غير واقعية، ويراوح فـي مستاهات نـظرية لاتـتصل بـالحياة الاجـتماعية واشكـالياتها بشكـل مـباشر، وانما تغوص في وقـائع السـماء وأحـوال عوالمها، وأحوال عوالم أخـرى مـفترضة من قبيل عوالم العقول والمثال، فيما تُغيَّب وقائع الأرض وأحوال حياة الانسـان فـيها ومـايكتنفها مـن تـحديات وارهـاصات معرفية وعملية.

وان فكر الشـهيد الصـدر كـان حـواراً حافلاً مع الواقع، وتحليلاً دقيقاً لمشكلات الحـيـاة، واسـتكشافاً رائـداً للـنظريات الاسلامية أزاء هذه المشكلات، من خلال استنطاق القرآن الكـريم والسـنة الشـريفة فـيما يـحمله لهـا مـن أسـئلة الواقـع، ومايطرحه عليهما مـن مسـائل الاجـتماع البشـري، فـهو يـبدأ بـالواقـع ليـنتهي إلىٰ النص، أي ان فقه النص يتحرر لديـه فـي أفق الواقع، ويستلهم الموقف فـي فـضاء إشعاعاته، وبذلك تدفقت رؤيته للـنص، ووعىٰ دلالاته، واستخلص مـنها مـايقوله النص، في اطار متطلبات الواقع وقضاياه.

وبـــهذا يـتضح ان عـملية تـاصيل النـظريات الاسـلامية فـي فكـر الشـهيد الصدر، ترتكز بصورة أساسية عـلىٰ هـذه الكيفية، التي أفصح هو عنها بصراحة فـي بداية حـديثه عـن الاتـجاه التـوحيدي أو الموضوعي في التفسير، وأبرز ملامح هذا الاتـجاه، والاسـلوب الذي يـعتمده فـي استلهام مواقف وتوجيهات القرآن الكريم أزاء الحياة، فقد صرح بأن هـذا الاسـلوب يتمثل فـي ان (التـفسير يـبدأ مـن الواقـع، وينتهي إلىٰ القرآن، لا انه يبدأ مـن القـرآن وينتهي بالقرآن، فتكون عملية منعزلة عن الواقع، منفصلة عن تراث التجربة البشرية، بل هذه العملية تـبدأ مـن الواقـع وتـنتهي بـالقرآن، بـوصفه القـيِّم والمـصدر الذي تُحدِّد في ضوئه الاتجاهات الربانية بالنسبة إلىٰ ذلك الواقع)[٨].

كما أكد ان مـايعنيه بـالموضوعية فـي استخدام هذا المنهج، هي (بمعنىٰ ان يبدأ من الموضوع وينتهي إلىٰ القرآن هذا الأمر الأول، والأمر الثاني ان يختار مجموعة من الآيات تشترك في موضوع واحد، ويقوم بعملية توحيد بين مدلولاتها، من أجل ان يستخرج نظرية قرآنية شـاملة بـالنسبة إلىٰ ذلك الموضوع)[٩].

هذه هي الطريقة الرائدة في استخلاص

النظرية ، وتجاوز المشاغل التقليدية للعقل الاسلامي ، حيث أعاد هذا المنهج ترتيب نظام التفكير ، وأسلوب وعي العقل للنص بنحو آخر ، بعد ان استنفد الأسلوب التجزيئي أغراضه ، ولم ينجز معطيات كبيرة مع تقادم الزمان ، سواء في حقل الدراسات القرآنية أو غيرها ، (حتىٰ نكاد نقول ـ والقول للشهيد الصدر ـ ان قروناً من الزمن متراكمة مرت بعد تفاسير الطبري والرازي والشيخ الطوسي ، لم يحقق فيها الفكر الاسلامي مكاسب حقيقية جديدة ، وظل التفسير ثابتاً لايتغير إلاّ قليلاً خلال تلك القرون علىٰ الرغم من ألوان التغيير التي حفلت بها الحياة في مختلف الميادين)[١٠].

ان ادراك الشهيد الصدر لتخلف مواقف الفكر الاسلامي ، عن التحول والتغير المطّرد في أنماط حياة الانسان ، وطبيعة عيشه ، واستغلاله للطبيعة وازدياد سيطرته عليها ، من خلال اكتشاف قوانينها ، والتعرف علىٰ أسرارها ، وعدم تمكن هذا الفكر من استيعاب هذه التحولات ، ومواكبة حركة التغيير في بنية المجتمعات ، وانتاج مفاهيم ومقولات تستجيب للمتطلبات الراهنة للحياة ، ان ذلك هو الذي دعاه إلى الاعتماد علىٰ هذا الاسلوب الجديد في وعي معطيات النص ، بالانتقال من الواقع إلىٰ النص ، والتوحيد بين التجربة البشرية بما تشتمل عليه من أبعاد وتفاصيل متنوعة وما يقوله النص ، فإن التحام الواقع بالنص بهذه الكيفية ، يتيح للمفكر المسلم ان يؤصل رؤىً اسلامية جديدة تغاير ماألفه من رؤىً لاتتواصل مع التحولات المختلفة في أنماط الحياة ، ولاتتجاوز الاسلوب التجزيئي في التفكير الذي ظل لفترة طويلة من أهم أسباب إعاقة نمو وتطور الفكر الاسلامي ، لأنه يجعل التفكير بعيداً عن واقع التجربة البشرية ، حيث لايستطيع في اطاره العقل ان يوحد بين واقع هذه التجربة والنص.

من نتائج منهج التأصيل النظري

في مراجعة سريعة للتراث الفكري للشهيد الصدر تلوح لنا بعض الآثار والنتائج ، التي أثمر عنها تطبيقه لهذا المنهج ، ومما يمكن ان نستخلصه منها مايلي :ـ

١ ـ لقد كان المهم الأكبر في فكر الشهيد الصدر ، هو أن ينتهي إلى تأصيل نظرية اسلامية ، وتحديد المركّب النظري الاسلامي في كل حقل فكري بحثه ، كما يقول لنا بصراحة في بيان مايهدف اليه تطبيق منهجه ، في التفسير مثلاً ، وهو (ان يستحصل أوجه الارتباط بين المدلولات

التفصيلية ، يحاول ان يصل إلى مركب نظري قرآني ، وهذا المركب النظري القرآني يحتل في اطاره كل واحد من تلك المدلولات التفصيلية موقعه المناسب ، وهذا مانسميه بلغة اليوم بالنظرية ، يصل إلى نظرية قرآنية عن النبوة ، نظرية قرآنية عن المذهب الاقتصادي ، نظرية قرآنية عن سنن التاريخ ، وهكذا عن السماوات والأرض ..)[١١] .

استطاع الشهيد الصدر من خلال تطبيق هذا المنهج استكشاف نظرية الاسلام في الاقتصاد في كتاب «اقتصادنا» ونظرية الاسلام في المعاملات المصرفية في كتاب «البنك اللاربوي في الاسلام» ، ونظرية القرآن عن سنن التاريخ ، ونظرية القرآن عن عناصر المجتمع ، في كتاب «المدرسة القرآنية» والنظرية السياسية في الاسلام في السلسلة التي كتبها قُبيل استشهاده ، ونُشرت فيما بعد بعنوان «الاسلام يقود الحياة» في ست حلقات .

ولم يتخلف البحث الفلسفي والمنطقي لدى الشهيد الصدر عن تطبيق هذا المنهج فقد وفق لقطف ثماره في «الأسس المنطقية للاستقراء» ، باكتشاف وصياغة مذهب جديد في تفسير كيفية نمو المعرفة البشرية وتوالدها ، عبر عن اتجاه آخر في تفسير المعرفة البشرية ، غير ماكان معروفاً بين المذهبين التجريبي والعقلي ، وهو ماصطلح عليه بـ«المذهب الذاتي للمعرفة» . وقال عنه :

(نريد بالمذهب الذاتي للمعرفة : اتجاهاً جديداً في نظرية المعرفة ، يختلف عن كلٍّ من الاتجاهين التقليديين اللذين يتمثلان في المذهب العقلي والمذهب التجريبي)[١٢] .

وقد لانعدو الحقيقة إذا قلنا ان بحوثه الأصولية والفقهية شعت فيها شذرات تطبيق هذا المنهج ـ نأمل ان نقف مع منهجه الأصولي وابداعه في علم الأصول في مناسبة لاحقة ـ ، كذلك تجسد هذا المنهج في الدراسات التاريخية المحدودة التي طرقها في حياة أهل البيت عليهم السلام ـ كما أوضحنا ذلك فيما سبق ـ .

وبذلك يتضح ان كل اعمال الشهيد الصدر كانت تُعَدُّ عقداً انتظمت حياته في اطار منهج التأصيل النظري ، حيث أضحى كل مؤلَّف للشهيد الصدر ، يمثل محاولة جادة ودقيقة يترسم فيها تجسيد هذا المنهج ، ويتقدم خطوة على طريق إشادة أركانه .

ومما ينبغي التذكير به ان عملية التنظير التي اضطلع بها هذا المنهج ، لاتعني الانتقاء الكمي لمجموعة من النصوص ، واقتناص بعض المفاهيم منها ، وانما هي عملية

امتزاج وتفاعل تتوحد في افقها التجربة البشرية مع النص، وتنصهر مجموعة العناصر المكونة للنظرية في بوتقة واحدة، لتنتج مركباً نظرياً، نظير مانراه من تفاعل مجموعة عناصر كيمياوية بمقادير محددة وفي ظروف وشروط خاصة، وانتاجها لمركب معين، يمثل شيئاً جديداً يختلف عن تلك العناصر في خصائصه وآثاره.

٢ ـ تسود الكثير من الكتابات الاسلامية نزعة تقديس لتراث السلف بتمامه، ويبلغ التقديس حداً لايميز فيه بعضٌ بين ماهو مقدس وكامل (القرآن الكريم، والسنة الشريفة)، وما هو نسبي متأثر بالاحوال والحاجات والظروف التي ولد فيها، وهو انتاج المسلمين في العلوم الاسلامية.

وينشأ عن هذا الفهم موقف يدعو إلى ان وظيفتنا في هذا العصر تتلخص في فهم وشرح التراث الاسلامي فقط، وكأن الحقيقة قيلت بتمامها، والعلوم الاسلامية استنفذت تمام إمكانات نموها وتكاملها، وان ماقاله علماء الاسلام الأوائل هو الكلمة الخالدة في كل العصور، ولذا يجب ان نتولى دور حراسة هذا التراث وحفظه واستظهاره فقط، من دون ان يكون لنا دور في نقد هذا التراث، وتفعيل عناصره الحية، ووعي النص المقدس (القرآن الكريم، والسنة الشريفة) في فضاء الواقع الحياتي المتجدد، واستلهام مواقف النص تجاه مشكلات الواقع.

لقد تغلب هذا المنهج الذي اعتمده الشهيد الصدر على هذه النزعة (اللاتاريخية) في الخطاب السلفي، ومااشاعته من مناخ، كان له الأثر الكبير في تعطيل حركة تطور الفكر الاسلامي، وطمس روح الابداع والتجديد في العلوم الاسلامية لفترة طويلة، فزحزح العقل الاسلامي من حالة السكون، ومكّنه من التواصل مع مشكلات العصر، واختراق فضاء الحياة ورهاناتها الحاضرة، وتجاوز المفاهيم والمقولات التي أنجزت في ظل نسق تاريخي خاص، وأشاد رؤىً وأفكاراً ونظرياتٍ في ضوء المنظومة المعرفية التي أصّلها، تعالج هموم المسلم المعاصر، وتداعيات التجربة البشرية الراهنة.

بيد أنه من المؤسف أن هذا المنهج الذي أرسى دعائمه الشهيد الصدر، وواصل تطبيقه في مؤلفاته وأبحاثه، وحرص على تعميمه في الدراسات الاسلامية المعاصرة، لم يتم استيعابه وتمثله فيما بعد، ولذا لانجد تطبيقات واسعة لهذا المنهج في الفترة التي تلت استشهاد السيد الصدر، لاسيما وان الحاجة إلى تبني منهج التأصيل النظري في الدراسات الاسلامية، تبدو في الوقت

الحاضر أكثر إلحاحاً واعظم من أي وقت آخر في السابق، بعد مضي أكثر من عقد على تجربة تطبيق الاسلام في ايران، ومحاولة تطبيق الاسلام في السودان منذ سنوات، وتعاظم دور الحالة الاسلامية في الكثير من أقاليم العالم الاسلامي، وضراوة المواجهة الفكرية، وتفاقم آثار الصراع الحضاري بين الاسلام وخصومه التاريخيين.

الهوامش

١ ـ الصدر، السيد الشهيد محمد باقر. اقتصادنا. قم: المجمع العلمي للشهيد الصدر، ١٤٠٨هـ، ج ١: ص ١٤ (مقدمة الطبعة الثانية).

٢ ـ المصدر نفسه، ص ٣٨٩.

٣ ـ الصدر، السيد الشهيد محمد باقر «دور الائمة في الحياة الاسلامية». في: بحوث اسلامية ومواضيع أخرى. بيروت: دار الزهراء، ١٤٠٣هـ، ص ٥٨ ـ ٥٩.

٤ ـ نُشرت هذه البحوث فيما بعد تحت عنوان: «أهل البيت: تنوع أدوار ووحدة هدف»، في ١٤٩ صفحة من القطع الكبير.

٥ ـ قسّم السيد الشهيد الصدر أحكام الشريعة إلى أربعة أقسام، هي:

١) العبادات: وهي الطهارة، والصلاة، والصوم، والاعتكاف، والحج، والعمرة، والكفارات.

٢) الأموال، وهي على نوعين: (أ) ـ الأموال العامة: كل مال مخصص لمصلحة عامة ويدخل ضمنها الزكاة والخمس. (ب) ـ الأموال الخاصة: ماكان مالاً للأفراد.

٣) السلوك الخاص: كل سلوك شخصي للفرد، لا يتعلق مباشرة بالمال، ولايدخل في عبادة الانسان لربه.

٤) السلوك العام: سلوك ولي الأمر في مجالات الحكم، والقضاء، والحرب، ومختلف العلاقات الدولية، ويدخل في ذلك الولاية العامة، والقضاء والشهادات، والحدود. وغير ذلك. لاحظ تفاصيل ذلك في: «الفتاوى الواضحة ص ١٣٢ ـ ١٣٤».

٦ ـ يعتبر كتاب: «دستور الأخلاق في القرآن» للعلامة الدكتور محمد عبد الله درّاز، وهو رسالته الأساسية التي نال بها درجة دكتوراه الدولة من السوربون في باريس، أول محاولة رائدة على طريق اكتشاف «نظرية الأخلاق في القرآن» في هذا العصر.

لكن هذه الرسالة التي قُدّمت نسختها الفرنسية إلى المطبعة عام ١٩٤٨، لم تظهر ترجمتها العربية إلاّ بعد ربع قرن من ذلك

التاريخ، وأكثر من خمسة عشر عاماً على وفاة مؤلفها.

٧ـ الصدر، السيد الشهيد محمد باقر. المدرسة القرآنية. بيروت: دار التعارف، ط ٢، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ص ٣١ـ٣٢.

٨ـ الرفاعي، عبد الجبار. النظام التعليمي في الحوزة العلمية: رؤية تقويمية لدواعي التجديد. (مخطوط) (فيه بيان مفصل لتأثير تطور البحث الفقهي على تطور الفكر الأصولي ونموه التكاملي نحو مايؤمن للفقه أدواته وقواعده، وتجاوز الفكر الاصولي للحالة التكرارية، وحالة النمو المترهل نحو آفاق غير عملية لاتخدم عملية الاستنباط).

٩ـ الصدر، السيد الشهيد محمد باقر. المدرسة القرآنية. ص ٢٢.

١٠ـ المصدر نفسه، ص ٢٩.

١١ـ المصدر نفسه، ص ١٨.

١٢ـ المصدر نفسه، ص ٢٧.

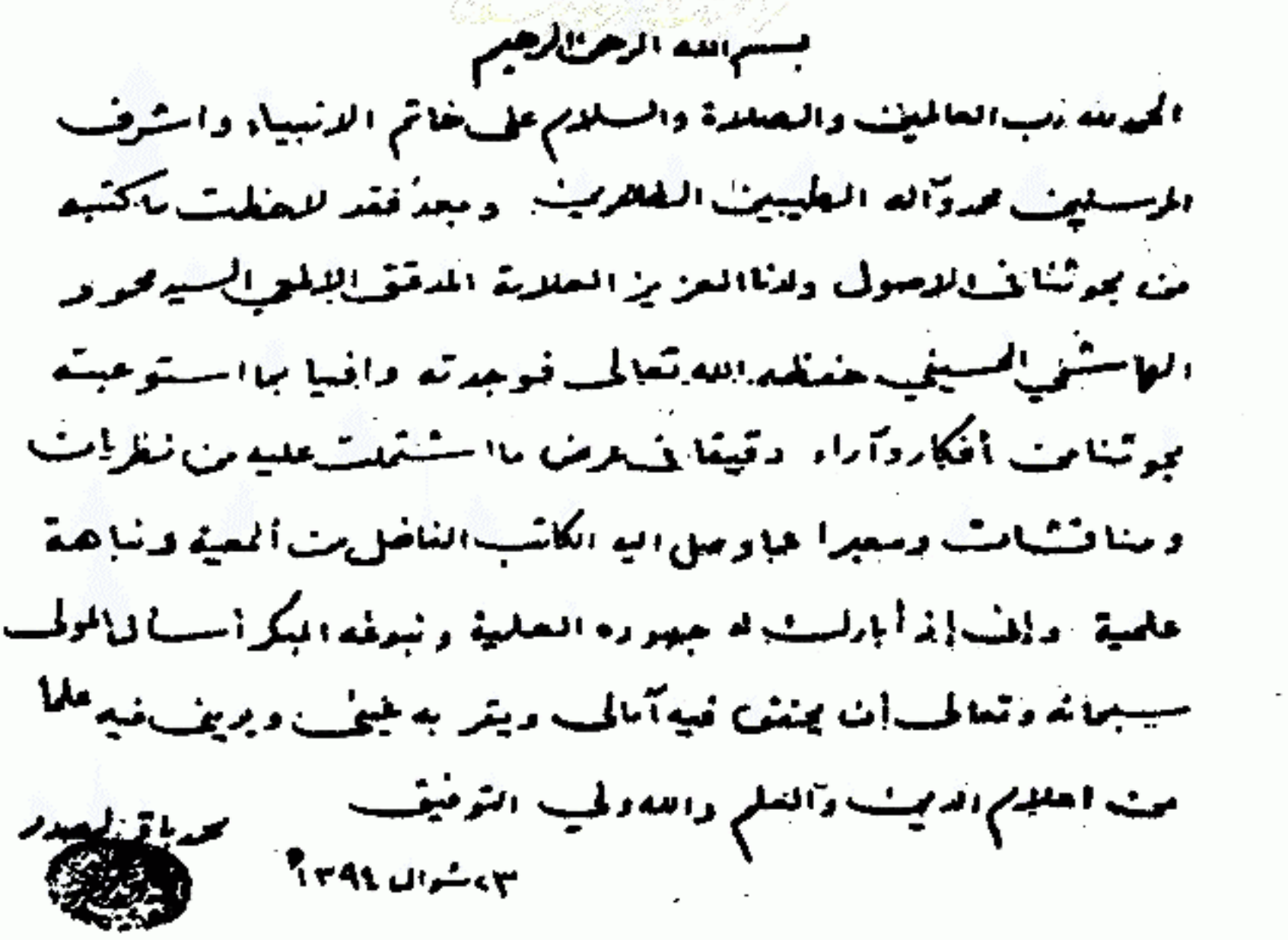

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء واشرف المرسلين محمد وآله الطيبين الطاهرين. وبعد فقد لاحظت ماكتبه من بحوثات الاصول ولدنا العزيز العلامة المدقق الالمعي السيد محمود الهاشمي الشيرازي حفظه الله تعالى فوجدته وافيا بما استوعبته بحوثاته أفكار وآراء دقيقة في عرض ما اشتملت عليه من نظريات ومناقشات وسبرا لما وصل اليه الكاتب الفاضل من العمق ومتابعة علمية وانك إذا بارك له جهوده العلمية ونبوغه المبكر أسأل المولى سبحانه وتعالى ان يمنحه فيه آمالي ويقر به عيني ويريني فيه علما من اعلام الدين والعلم والله ولي التوفيق

٣ شوال ١٣٩٩

محمد باقر الصدر